المحاضرة الرابعة:

أطروحة "مجتمع المخاطر" (3)

النظرية الثقافية: ماري دوغلاس (Mary Douglas)

يتصدر هذا الاتجاه ماري دوغلاس عالمة الأنثروبولوجيا البريطانية المشهورة بأعمالها العديدة حول الإدراك الاجتماعي للأخطار مثلا كتاب (النقاء والخطر، سنة 1966) وعلى نطاق أوسع حول التحيزات الثقافية للإدراك (مقالات في علم اجتماع الإدراك، 1982) أو نماذج المعنى والتواصل (معاني ضمنية ، 1976 ؛ عالم السلع ، 1979)، بحيث تحاول ماري دوغلاس وضع حالة لما يمكن أن يطلق عليها أنثروبولوجيا اجتماعية للمخاطر.

بدأت في أوائل الثمانينيات مناقشة تأثير القيم والإطارات الثقافية على إدراك المخاطر والقلق بشأن القضايا البيئية أو الاجتماعية يتم

تأطيرها اجتماعيًا وثقافيًا. وهذا يعني أن القيم ووجهات النظر لبعض السياقات الاجتماعية أو الثقافية تشكل تصور الفرد وتقييم المخاطر. ومن هذا المنطلق تؤكد دوغلاس على أن الأفراد جزء لا يتجزأ من البنية الاجتماعية وأن السياق الاجتماعي للأفراد يشكل قيمهم ومواقفهم ووجهات نظرهم. بهذه الطريقة، تعمل الأنماط المعرفية الاجتماعية كالمرشحات في تقييم المعلومات حول المخاطر.

أما في كتابها "الخطر والثقافة" تؤكد المؤلفة على الخطر باعتباره موجها أساسيًا للبناء الاجتماعي للواقع من خلال العلاقة بين المؤسسات والحالات النفسية البشرية، بحيث تنتج المخاطر إنذارات ضرورية لضمان الشعور بالأمان وتجديد مخاوف المجتمع. إن التأثيرات المختلفة من قبل التكنولوجيا على البيئة هي الأهداف المفضلة لهذا الشعور وبالتالي إنتاج الخبراء الذين يضمنون الربط بين السياسة

والرأي العام، في عالم متغير باستمرار وغامض أحيانا. إن الانقسام الخاطئ بين واقع العالم الخارجي من جهة، وبين التجربة والخطأ في النفس البشرية، من جهة أخرى، يؤدي إلى اعتبار المعرفة الحقيقية أمر يخص العلوم الفيزيائية ويترك الأوهام والأخطاء في مجال علم النفس والاجتماع. فهو يتعامل مع السببية كأنها تنتمي إلى العالم الخارجي بشكل عام وأنه منفصل تمامًا عن نتائج الإدراك الفردي. وفقًا لهذا المقاربة، فإن الخطر هو نتيجة مباشرة للأخطار الكامنة في الحالة الذهنية، في حين أن المواقف تجاه الخطر تعتمد على الشخصيات الفردية. عند التحقق في مخاطر معينة بشكل موضوعي، يترتب على ذلك أنه يجب توجيه اختلاف الرأي بين الخبير والجمهور العام في اتجاه واحد فقط - وفقًا لرأي الخبراء: يجب إبلاغ الجمهور بالحقائق؛ ويجب عرض الرسالة العلمية بوضوح، وهذه نظرة ساذجة تماما. ولكن في الواقع، يمكن أن يعزى الغموض إلى سوء الفهم أو الخطأ البشري؛ كما

يمكن للخبـير بيـع مهاراتـه للمؤسسـات الصـناعية أو للفكـر المنـاهض للأعمال التجارية اعتمادًا على توجيه خطابه لصالح الجهة النافذة.

وفقًا لهذا المنظور، فإن أهم المؤشرات لاختيار ما يخشـاه النـاس ليست العمليـات المعرفيـة الفرديـة مثـل تصـور التهديـدات للصـحة أو الشـعور بعـدم القـدرة على التحكم، ولكن وجهـات النظـر المشـتركة اجتماعيًا أو ما يسمى التحيزات الثقافية (biais culturels) التي تحدد تصورات الفرد.

تقـدم النظريـة الثقافيـة فرضـيات واضـحة حـول أنمـاط إدراك المخاطر. أما فيما يخص الأولى فيُفترض أن الأشـخاص ذوي التوجهـات السلطوية الهرمية يتقبلون المخاطر طالما أن القرارات المتعلقة بهـذه المخـاطر مـبررة من قبـل السـلطات الحكوميـة أو الخـبراء، لكنهم يخشون المخاطر التي تهدد النظام الاجتمـاعي. أمـا فيمـا يخص الثانيـة

يفترض من مناصري المساواة معارضة المخاطر التي تلحق الخطر بالعديد من الناس أو على الأجيال القادمة. إنهم لا يثقون بالمخاطر التي تفرض عليهم قرارات من نخبة من الخبراء أو السلطات الحكومية. أما فيما يخص الفرضية الثالثة لدى القدريين (Fatalistes) توجه قوي نحو تصنيفات اجتماعية معينة، ولكن بدون تحديد مجموعة. يحاولون ألا يعرفوا ولا يقلقوا بشأن أشياء يعتقدون أنهم لا يستطيعون فعل شيء حيالها. أما فيما يخص الفرضية الرابعة ينظر أصحاب الاتجاه الفرداني إلى الخطر على أنه فرصة. على سبيل المثال، يُنظر إلى التقنيات الجديدة على أنها إمكانية وأقل مخاطر. إنهم يخشون المخاطر التي يمكن أن تحد من حريتهم.

تتضمن المقاربة النظرية للنظرية الثقافية المذكورة أعلاه ضمنيًا العديد من الفرضيات المتعلقة بنظرية القياس؛ ومع ذلك، لا يتم

استخدام هذه النظرية بشـكل صـريح في البحث الكمي الفعلي. يشـير مصطلح نظرية القيـاس هنـا إلى الفرضـيات الـتي يمكن اشـتقاقها من النظريـة الثقافيـة، والـتي تعطي تعليمـات حـول كيفيـة قيـاس الأنـواع الثقافية الأربعة.

نظرية التضخيم الاجتماعي: روجر كسبرسون وآخرون (Roger E. Kasperson)

من النظريات المهمة في تحليل عملية المخاطرة وإدارة الخطـر، نظرية التضخيم الاجتماعي لإطـار المخـاطر (Social Amplification of Risk Framework) التي تجمع بين الأبحاث في علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا ونظرية الاتصالات. وتحدد هـذه الأخـيرة كيفيـة انتقال رسائل أحداث المخاطر من المرسل عبر محطـات وسـيطة إلى جهـاز اسـتقبال وفي العمليـة تعمـل على تضـخيم التصـورات المتعلقـة

بالمخاطر أو تخفيفها. من خلال الروابط في سلسلة الاتصال، الأفراد والمجموعات ووسائل الإعلام، وما إلى ذلك، يتم فرز المعلومات وفهمها عن طريق تصفيتها.

تتفاعل المخاطر مع العمليات النفسية والاجتماعية والمؤسسية والثقافية بطرق قد تضخم أو تخفف من استجابات الجمهور للمخاطر. إن الوصف البنيوي للتضخيم الاجتماعي للمخاطر يمكن أن يتحدد من خلال عملية التضخيم التي تتم على مرحلتين: أولا، في نقل المعلومات حول الخطر، وفي آليات الاستجابة للمجتمع ثانيا. ومن أجل ذلك، تتم معالجة الإشارات حول المخاطر من قبل محطات التضخيم الفردية والاجتماعية، بما في ذلك العالم أو الخبير الذي ينقل تقييم المخاطر، ووسائل الإعلام الإخبارية، والمجموعات الثقافية، وشبكات التواصل الاجتماعي، وغيرها. ويمكن تحديد الخطوات الرئيسية للتضخيم في كل

مرحلة. تؤدي المخاطر المتضخمة إلى استجابات سلوكية تؤدي بـدورها إلى تأثيرات معينة.

يسـعى هـذا الإطـار إذن، إلى شـرح العمليـة الـتي يتم من خلالهـا تضخيم المخـاطر، أو تلقي الاهتمـام العـام، أو توهينهـا، ممـا يـؤدي إلى تلقي قـدر أقـل من الاهتمـام العـام. يمكن اسـتخدام الإطـار لمقارنـة الـردود من مجموعـات مختلفـة في حـدث واحـد، أو تحليـل مشـكلة المخاطرة في أحداث متعددة. قد تعمل بعض المجموعات على تضخيم تصورها للمخـاطر في حين أن مجموعـات أخـرى قـد تضـعف أو تقلـل تصوراتها للمخاطر. تؤكد النظريـة الرئيسـية للتضـخيم الاجتمـاعي على أن أحـداث المخـاطرة تتفاعـل مـع عوامـل ثقافيـة نفسـية واجتماعيـة وثقافيــة أخــرى بطــرق تزيــد أو تخفض التصــورات العامــة للمخــاطر وسلوكيات الأفراد والجماعات ثم تولد آثار اجتماعية أو اقتصادية ثانويـة

مع زيادة أو تقليل المخاطر المادية نفسها، وتشمل هذه الآثـار الناجمـة عن تضـخيم المخـاطر التصـورات الذهنيـة الدائمـة، والتـأثيرات على مبيعات الأعمـال، والتغيـير في قيم العقـارات السـكنية، والتغـيرات في التدريب والتعليم، أو الاضطراب الاجتماعي.